بسم الله الرحمن الرحيم

خطبةُ الجُمعة

اللغة العربية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل له مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا وقرة أعيننا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا فهدى الله به الأمة وكشف به الغمة وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور فجزاه الله خير ما جزى نبيًا عن أمته

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد عباد الله فأوصى نفسى وإيّاكم بتقوى الله العظيم فاتقوا الله ربكم أما بعد فقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[1].

[1] سورة يوسف/الآية ٢.

ليس من الغلو القول إن اللغة العربية أشرف اللغات وإنها تمتاز بجمالٍ وسهولة واتساعٍ ليس فى لغةٍ أخرى من لغات الأمم.

ولكننا كعربٍ نأسف أن أكثرنا لا يُعطى اللغة العربية الاهتمام المطلوب علمًا أن شدة الجهل بالعربية من أغراض أعداء الأمة، لأنه إذا ضعُف فهم أبنائنا للغة العربية أدى ذلك إلى ضعفهم بفهم معانِى ءايات كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الأئمة فيضعف بالتالِى فهمهم لدين الله وهذا ما يصبو إليه كل حاقدٍ على دعوة النبى العربِىّ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك يريد عدونا الوصول إلى تحريف معنى النصوص فنرى نتيجة سوء الفهم المآسِى والتكفير بغير حقٍ.

وها نحن نشهد اليوم جيلًا لا يعرف من العربية إلا الاسم، بل كم نرى من حملة الشهادات الجامعية مَنْ لا يعرف أوائل قواعد العربية بل ولا يعرف الرسم الإملائِىّ للعربية وصار كثيرٌ من العرب لا يستعملون الحرف العربِىّ فى كتاباتهم ولا فِى مخاطباتهم بل استبدلوا ذلك بما يسمونه "لغة الشات" وتركوا جواهر لغة الضاد.

ووصل الأمر ببعض المعاهد إلى إلغاء تدريس قواعد العربية وجهلوا أو تناسوا أنها اللغة التى دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محبتها والاعتناء بها، فعن عبد الله بن عباس أن النبِىّ صلى الله عليه وسلم قال **أحِبوُا العرب لثلاث لأنّى عربى والقرآن عربِىّ وكلام أهل الجنة عربِىّ**[1] اهـ

---

[1] رواه الطبرانى فى المعجم والحاكم فى المستدرك.

وحيث كان الأمر هكذا فما الّذِى يدفع كثيرًا من عرب اليوم إلى الإعراض عن العناية باللغة العربية وهى اللغة التِى نزل بها الوحى على قلب أفضل المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ربنا تعالى فِى سورة الشعراء ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ وبها خاطب عليه الصلاة والسلام قومه ودعاهم إلى الإيمان بل هِىَ من اللغات الأصلية التِى أوحى الله بها إلى أول البشر ءادم عليه السلام.

ومن خلال واقعنا المؤلم ندرك كم نحن بحاجة إلى التمكُّن فى معرفة لغتنا الراقية وعلومها وءادابها لنؤدب بها أجيالنا ونتصدى لأعاصير الحاقدين الذين يهدفون إلى الحطِّ من شأن لغة القرءان الكريم ويُصورون للأجيال أنها لغةٌ صعبة ولا تواكب العصر، وكيف يكون ذلك وربنا تعالى يقول فى سورة القمر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[1]

وإذا ما كان القرءان العزيز الذى هو فى أعلى طبقات الفصاحة **والبلاغة قد يسَّر الله حفظه للقارئين فكيف يسوغ القول بعد ذلك بأنها صعبة ولا تواكب العصر، وحقيقة الأمر أن المشكلة تكمُن فى عدم فهم** الكثيرين للعربية لأنهم لم يوجَّهُوا إليها فما اعتادوها نتيجة الإهمال الذى أضحى يتوارثه الأبناء عن الآباء فصاروا إذا سمعوا العربية وعلومها سمعوا شيئًا غريبًا عما ألفوه فليست المعضِلةُ إذًا فِى العربية وعلومها بل فى العقول السقيمة التى تقدح فى العربية لأنها لم تستضىء بأنوار دررها.

---

[1] سوره القمر/الاية ١٧.

وإزاء ذلك نقول إن إحياء اللغة العربية والتخاطب بها وجعلها لغة الكثير من العلوم ليس بالأمر الصعب، وكم هو جديرٌ بنا أن نعتنى بلغتنا قولًا وفعلًا لتتفتح عيون أطفالنا على أوعية علوم العربية فيغترفوا من معينها الصافى لترتوى أفئدتهم بحب لغتهم الأصلية وفهمها ليُتقنوا بذلك أولًا قراءة كتاب الله ثم ليفقهوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليفهموا مصطلحات علماء الأمة الأصولية والفقهية والطبية وغير ذلك من سائر العلوم التى أعرض عنها أكثر أبناء الأمة اليوم وكان أحد أبرز أسباب هذا التخلف الجهلَ بالعربية.

وقديمًا سمع أبو الأسود الدؤلى ابنته تُخطئ فى حرفٍ حيث قالت "يا أبت ما أحسنُ السماء فقال أى بُنية نجومها، قالت إنى لم أرد أى شىءٍ منها أحسن إنما تعجَّبت من حُسنها قال إذًا فتقولى ما أحسَنَ السماء" وشقَّ ذلك عليه فشكا إلى سيدنا على رضى الله عنه هذا الخطر فأمره بوضع علم النحو وعلَّمه شيئًا من أسسه وقال له انحُ هذا النحوَ فسمى هذا العلم بعلم النحو وأخرج المرهبى والقُضاعى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرَّ بقومٍ قد رموا نبلًا فأخطأوا الهدف فقال "ما أسوأ رميكم فقالوا نحن متعلمين و"كان الصواب أن يقولوا نحن متعلمون" فقال عمر لحنكم أشد على من رميكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **رحم الله امرءًا أصلح من لسانه**[1] اهـ وأين نحن اليوم من مثل هذا الحرص على سلامة العربية فى نفوس أولادنا؟

وإنه لما يندى له الجبين أن بلغ الأمر ببعض الناس أنهم صاروا يستهزئون بمن تكلم العربية الصحيحة، أو بمن سمعوه يُنادى من اسمه عبد الله أو عبد القادر أو عبد الرزاق باسمه على الوجه الصحيح ولا يقول بالعامية عبد اللا أو عبد الآدر أو عبد الرزاء وهذا من

---

[1] رواه البيهقى فى الشعب.

التحريف الذى نهى الشرع عنه كما دل على ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1].

وصار البعض يتعجب إذا ما سمع أو رأى إنسانًا يتعاطى العربية الفصحى فى محادثاته وينظر إلى من لا يعرف ما يسمى بلغة التشات نظرة استهجانٍ

فاعجب لقومٍ يتحدرون من أصول عربية ولا يعرفون العربية بل ويؤثرون الخطأ على الفصيحة الصحيحة.

ولهؤلاء نقول ليس تعلم العربية عارًا بل إن الطعن فى العربية هو العار، ولا أدرى كيف ساغ لبعضهم الانسلاخ من ثوبهم العربى بل والتجرد من كل القيم العربية القيمة والتخلى عن لغتهم بدعوى التقدم ومواكبة العصر، وبأى عَوَرٍ رأى هؤلاء أن العربية عائقٌ فى وجه الرُّقى؟

ألم يعلم هؤلاء أن تعلم النحو من الواجبات الكفائية على أهل كل ناحية، أى إن تعلمه بعضهم سقط الإثم عن الآخرين وإن لم يتعلمه أحدٌ أثم الجميع إلا من كان معذورًا بعذر شرعى، وأنه يجب تعلمه عينًا أى على الشخص بذاته أن يتعلمه إن أراد قراءة التفسير والحديث خشية أن يُدخل فى دين الله ما ليس منه أو ينفى من الدين ما هو منه لجهله بالعربية، وما نراه اليوم من حملٍ لنصوص القرءان والحديث على غير وجهها وتأويلها على غير معناها الصحيح من قِبَل أناسٍ يُنسبون للعلم والمشيخة فيفتون بما توهموه بأفكارهم

[1] سورة الأعراف/الآية ١٨٠.

السقيمة إنما هو ناشئٌ فى كثيرٍ من الأحيان عن جهل هؤلاء بالعربية، وكيف يقتحم إنسانٌ مجال تفسير كتاب الله الذى هو فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة ويخوض فى تأويل حديث أفصح العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُحط بالقدر الذى يؤهله لفهم مراد الله ورسوله من علم العربية فيهلك ويُهلك لأن أىَّ تفسير للقرءان والحديث على خلاف العربية باطلٌ ومردودٌ بقوله تعالى فى سورة فصلت ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

إن إتقان اللغة العربية سُلّمٌ إلى المعالى وشرفٌ قصر عن حيازته أغلب عرب هذا الزمان، بل إن تعلم العربية فيه تهذيبٌ للنفس وتقويمٌ للقلب. فقد روى أبو نعيمٍ فى "الحِلية" عن الإمام الشافعى أنه قال "ومن تعلم النحو هِيب ومن تعلم العربية رقَّ طبعه" وإهمال ذلك ذريعة إلى الفشل والأفول والتراجع بين الأمم.

هذا وأستغفر الله.